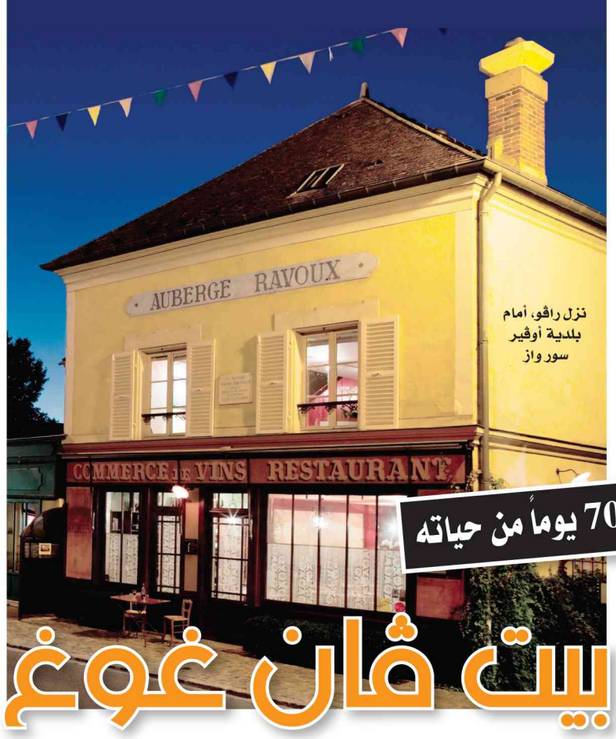


نزل راڤو، أمام بلدية أوڤير سور واز

## عاش فيه آخر 70 يوماً من حياته

# بيت ڤان غوغ

# أصغر متحف في العالم

في وقت تستعد فيه مدينة العين الإماراتية لاستضافة حدث عالمي كبير عن ڤان غوغ، زارت «زهرة الخليج» آخر مكان عاش فيه الفنان الهولندي الكبير، الذي يعتبر من أشهر الرسامين في التاريخ، وهو البيت الذي يحلو لصاحبه أن يطلق عليه تسمية «أصغر متحف في العالم».

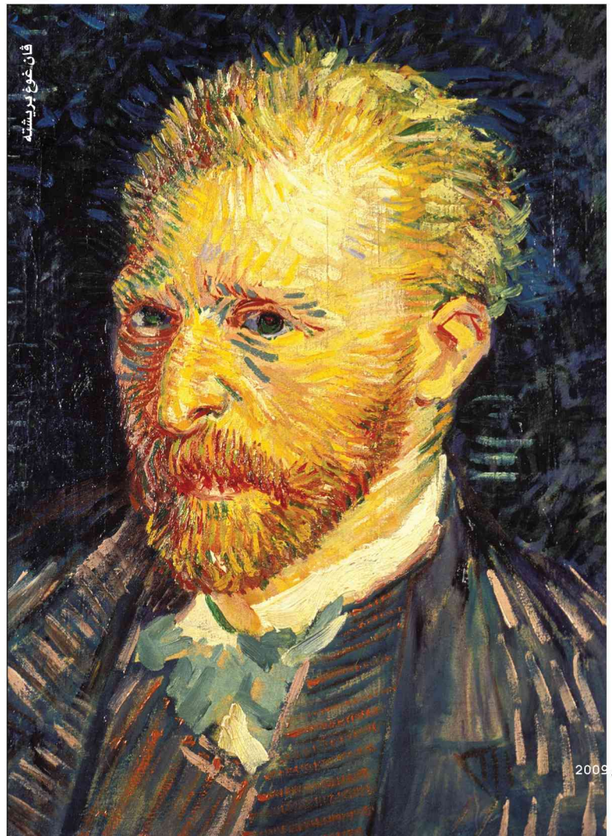
ڤان غوغ بريشته



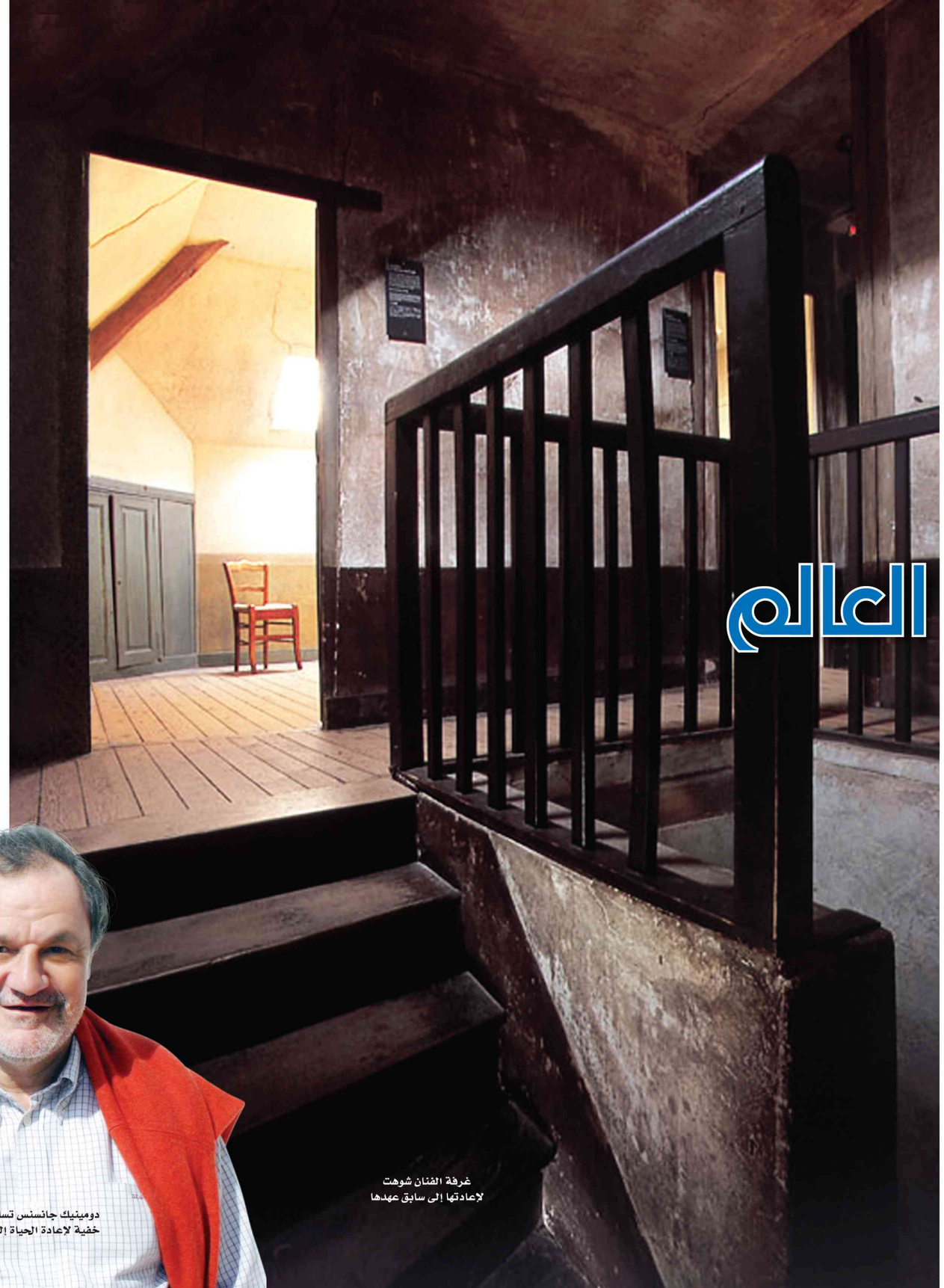

غرفة الفنان شوهت لاعادتها إلى سابق عهدها

إعداد: محمد عبود السعدي

غريبة هي قصة البلجيكي دومينيك جانسنس (Dominique Janssens)، كغرابة المتحف الذي أسسه، ويديره. ففي 1987، حصل له حادث سيارة، أقعده شهوراً. المهم مكان الحادث: ساحة البلدية، في قلب ناحية أوڤير سور واز (Auvers-sur-Oise 35 كيلومتراً إلى الشمال من باريس)، على بعد أمتار من النزل، المهجور وقتها، الذي كان أشهر الرسامين قاطبة سكنه في أواخر حياته، ورسم فيه 60 لوحة، قبل أن ينتحر قريباً منه. بالنسبة إلى جانسنس، شكل موقع الحادث إشارة، فآمن يقيناً بأنه مناداة خفية، تدعوه إلى إعادة الحياة لذلك النزل، المسمى «راڤو Ravoux».

### زجاج مضاد للرصاص

وبما أنه أمضى شهوراً طريح الفراش، إثر الحادث، قرأ بنهم مئات المؤلفات عن ڤان غوغ، الذي مات فقيراً مفلساً (انتحر في 1890 لأنه سئم من كونه عالة على أخيه الأصغر)، بينما لا تزال أسعار لوحاته تحطم الأرقام القياسية. هكذا، بات البلجيكي البشوش لا يجهل شاردة أو واردة عن حياة قدوته الهولندي. ومعلوماته في شأنه تضاهي، إن لم نقل تفوق، معرفة أفضل المتخصصين في أعمال الفنان، وما أكثرهم (كُتبت أكثر من 150 أطروحة فقط عن سر ميل ڤان غوغ للون الأصفر في معظم لوحاته). على أي، بعد شفائه، وظناً منه أن الحادث إشارة، عزم جانسنس على إعادة فتح آخر نزل عاش فيه الفنان. كان يمتلك شركة، فوظف ما مجموعه 17 مليون يورو (أكثر من 25 مليون دولار) منذ بدء المشروع في 1988. وانصبت آخر عمليات الترميم بالأحرى على «التهديم»، إذ استهدفت إعادة غرفة الفنان (حجرة ضئيلة من 7 أمتار مربعة)، والسلالم والممرات المفضية إليها، إلى هيئتها في 1890.

وتطلب العمل دراسات تاريخية ومعمارية مستفيضة، وحرفيين مهرة، من المهارة بحيث قدروا لا على تجميل المكان، إنما تقبيحه وجعله يبدو بالياً، بجدران طليت بجص فيه تصدعات وشقوق، وكأنه فعلاً يعود إلى 120 عاماً. على الرغم من ذلك، ومثلما أوضح جانسنس لـ«زهرة الخليج»، تضم الحيطان، خلف جصها الباهت بالي المنظر، أحدث التقنيات الأمنية: 12 كاميرا مجهرية، من الصغر بحيث لا ترى

دومينيك جانسنس تسلم إشارة خفية لاعادة الحياة إلى النزل

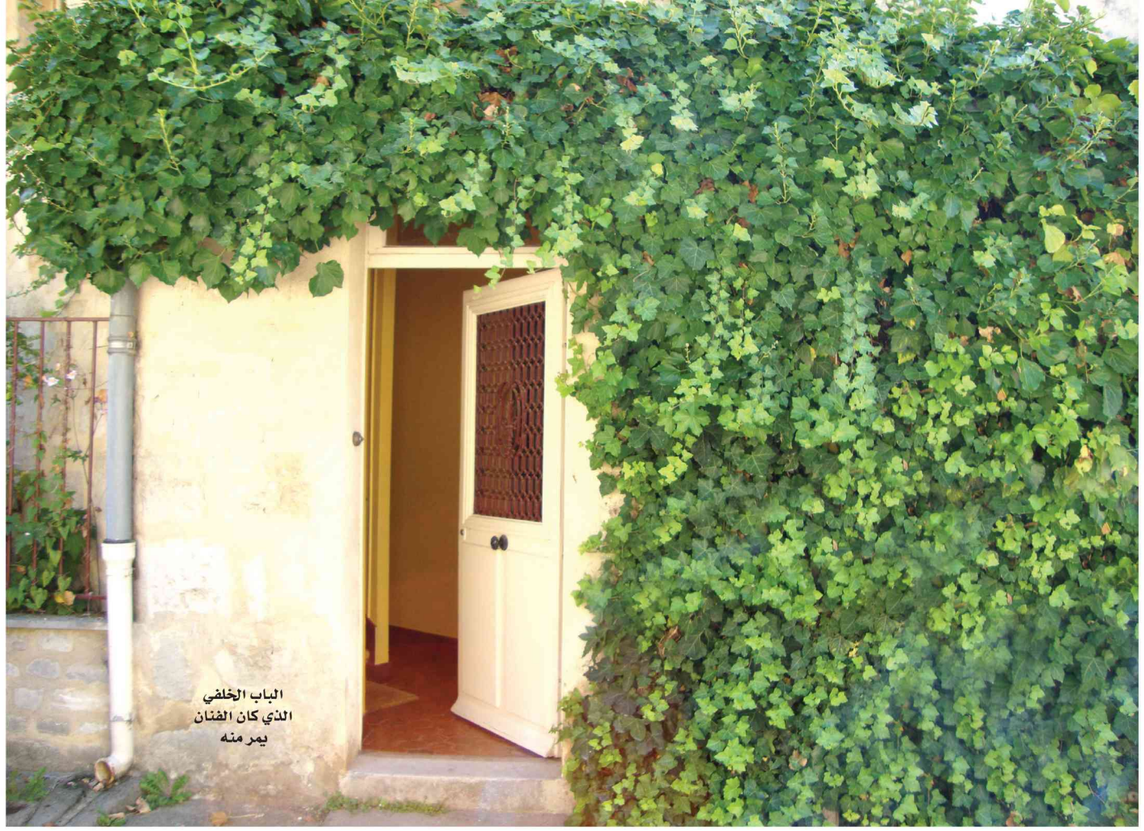

الباب الخلفي
الذي كان الفنان
يمر منه

بالعين المجردة. والهدف: مراقبة اللوحة التي يأمل في اقتنائها (انظر الكادر). خصص لها مكاناً محصناً، من زجاج مضاد للرصاص وحتى القنابل. كما صنع نسخاً من مفتاح الغرفة الأصلي، تحاكيه تماماً، موضوعة في علب أنيقة، ومغلفة تغليفاً راقياً، يهديها إلى الشخصيات البارزة من الزوار، ومنها «زهرة الخليج»، التي وهبها نسخة منها.

## قبرا الأخوين

وطبعاً أعيد فتح مطعم النزل، الذي بات من العناوين الباريسية الفاخرة، يؤمه علية القوم، من مشاهير ونجوم وسياسيين وشخصيات بارزة، بما فيها من منطقة الخليج، مثلما ذكر رب المكان. وأسرّ لنا قائلاً: «في الصيف الماضي، مثلاً، حجز المطعمَ بأكمله، للغداء، رجلُ أعمال خليجي معروف. لكن، لأسباب تتعلق بالنقل الجوي، تأخر مع ضيوفه، فوصلوا في الثالثة والنصف عصراً، بدلاً من الثانية عشرة ظهراً. هكذا، امتدت الوجبة حتى السادسة مساء، موعد البدء في تحضير العشاء. فاعتذر الرجل وأبدى لطفاً كبيراً، ثم وزع 5 آلاف يورو (أكثر من 7500 دولار) مكافأة للعاملين، ما أفرحهم وأنساهم ذلك التأخير ومنغصاته».

ومن أغرب ما يتميز به مطعم «راڤو»: تقديم مياه معدنية نادرة، تحمل اسم «شاتلدون Châteldon». وتلقب بـ«مياه الملوك»، باعتبارها كانت المفضلة لدى الملك لويس 14. لكنها غير شهيرة بسبب مرسوم ملكي حظر توزيعها لغير القصر الملكي والحاشية، ومنع بتاتاً الترويج لها بأي شكل. فهي نادرة، وبكميات

النزل في نهاية القرن الـ19

قبرا الفنان وأخيه
ومن ورائهما حقول رسمها

مياه «شاتلدون» النادرة تقدَم في النزل

مفتاح غرفة الفنان أهديت نسخة منه إلى «زهرة الخليج»

الشارع الخلفي للنزل مثلما رسمه الفنان

جانسنس مع «زهرة الخليج» على مرتفعات «قرية الفنانين»

محدودة، لذا يُمنع نشر أي إعلان عنها، ليومنا هذا. وبعد نهاية العهد الملكي، أصبحت حكراً على بضعة مطاعم راقية، في فرنسا وحسب، منها نزل «راڤو». أما مأكولات الأخير، فنادرة أيضاً، إذ تُوخي أن تُحضّر على غرار ما كانت عليه أيام ڤانسان ڤان غوغ، مع إضافة مسحة حديثة. وهذا أيضاً تطلب بحثاً مطبخياً تاريخياً معمقاً. والأكلات مدهشة فعلاً، مثلما لمسناه، وتعكس فن الطبخ الفرنسي الرفيع. لكن، الحق يقال، سعر الوجبة الباهظ يجعلها بعيدة عن متناول أي كان.

والطريف أن بلجيكا، همزة وصل بين فرنسا وهولندا، وذلك لكونها محصورة بينهما جغرافياً. وعلى تلك الشاكلة، أصبح بلجيكي همزة وصل بين الفنان الهولندي ومسقط قدمه الفرنسي. ففي كل صباح، يزور جانسنس المقبرة البسيطة، الضائعة في قلب ريف حالم، كان ڤان غوغ رسمه وطلب أن يدفن فيه. وهناك، حيث يرقد الفنان إلى جنب أخيه تيودور (الذي توفي بعد 6 أشهر منه بمرض السفلس)، يقوم جانسنس بتشذيب الزرع، وإزالة الأوساخ والأعشاب الضارة، وسقي الزهور، التي لا يمر يوم من دون أن يضعها مجهولون على القبرين، فتتراكم. هكذا، ينبغي تنظيف المكان باستمرار، ورفع الزهور الذابلة. وهذا ما يضطلع به رجل الأعمال البلجيكي عن طيب خاطر. فالمقبرة، التي قادنا إليها، لا تبعد عن نزل راڤو سوى بضع دقائق بالسيارة.

## «حجاج» حتى من... الصين

إلى ذلك، وبمساعدة البلدية وبعض الرعاة، قام جانسنس بوضع شواهد في أنحاء القرية، في المواضع نفسها، بالضبط، التي قام فنانون برسم لوحات فيها. وتمثل كل شاهدة ملصقاً للوحة المرسومة، مع نبذة عن هذه، وربما نوادر عنها، وأين أصبحت الآن، في ملكية أي جهة، إلخ. أرانا عدداً من تلك الشاهدات، متناثرة في الناحية، لفنانين كثيرين، ليس ڤان غوغ إلا واحد منهم. ومن المثير الوقوف إلى جانب اللوحة وتأمل منظرها، وفي الوقت نفسه رؤيته رؤية العين، والمقارنة. فمعظم معالم أوڤير سور واز بقيت على حالها، مثلما قبل قرنين، حرصاً من بلديات الناحية على إبقائها كمعالم تاريخية. منها شاهدة في المكان الذي رسم فيه ڤان غوغ لوحة «حقل قمح وغربان» مباشرة أمام سياج المقبرة التي قدر له الرقود فيها لاحقاً.

كما أكد جانسنس لـ«زهرة الخليج» أن بيت ڤان غوغ، ومقبرته، أصبحا وجهة حج طوال العام، يتقاطر إليها معجبون بالفنان حدّ الهوس، يأتون لتلك الغاية أحياناً من بلدان غير متوقعة». واستطرد قائلاً: «مثلاً، تصل في الصباح الباكر أتوبيسات بأكملها، آتية مباشرة من مطار (رواسي شارل ديغول)، حيث يتجه راكبوها نحونا مباشرة، حتى قبل الذهاب إلى الفندق في باريس لأخذ قسط راحة بعد سفرة طويلة. تقف الحافلات، فينزل منها عشرات الصينيين، متلهفين لزيارة نزل راڤو، وقبرَي الأخوين ڤانسان وتيودور ڤان غوغ. رأيت بعضهم يجهش بالبكاء من شدة التأثر، ما أثرّ فيّ أنا أيضاً، على الرغم من ولعي أصلاً بالفنان». يبدو أن «طلب العلم ولو في الصين» تحول، عند بعض الصينيين، إلى «طلب الفن ولو في

السلالم المفضية إلى الغرفة

لوحة «حقل الخشخاش»

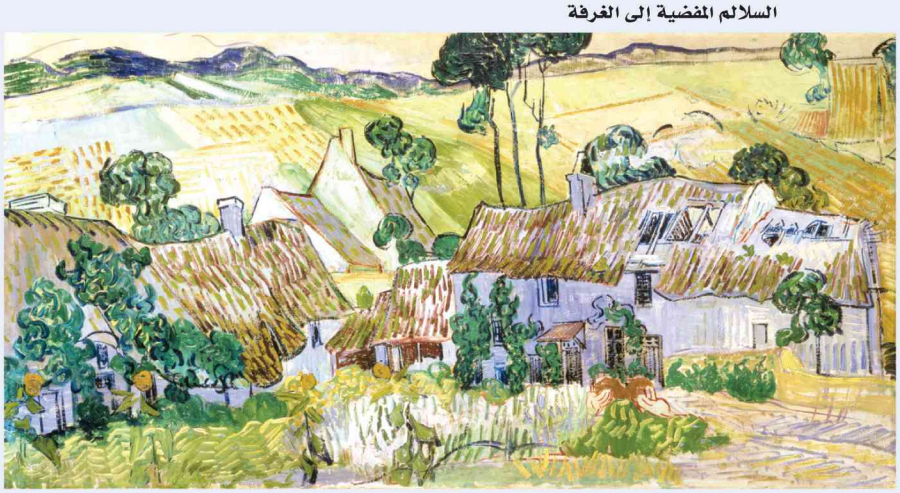

لوحة «حقل يورغس»

## من يحقق أمنيته ليحقق أمنية ڤان غوغ؟

لم يدرك أشهر رسام في العالم أنه سيصبح يوماً كذلك. قال يوماً: «أتمنى أن تعرض أعمالي في مقهى. فأنا أرسمها للناس، لا لكي تقبع في متحف». لذا، يزمع دومينيك جانسنس تحقيق أمنية ڤان غوغ بعرض لوحة له في غرفته الضئيلة، التي جددها لإظهارها مثلما كانت حين مات الفنان. وخصص لعرض اللوحة موضعاً خاصاً، محاطاً بزجاج محصن، و12 كاميرا مراقبة مجهرية مخفية في الجدار. فحلمه، ينصب على تحقيق حلم الفنان بعرض أعماله في مقهى.

وهو أسرّ إلى «زهرة الخليج» أنه يتمنى لو تعمد شخصية، أو مؤسسة ما، إلى اقتناء اللوحة المنشودة وعرضها بالتناوب، مثلاً ستة أشهر في فندق «قصر الإمارات» في أبوظبي (خريفاً وشتاء)، وأخرى في النزل (ربيعاً وصيفاً). وأعرب عن قناعته بأن مَن سيقوم بالمبادرة «لن يندم»، موضحاً الأسباب:

«أولاً: لأن تملك لوحة لڤان غوغ استثمار مضمون، إذ تزداد قيمتها باضطراد، لا العكس. وثانياً: لأن العمل سيكون هائلاً، وسيستقطب وسائل إعلام العالم أجمع، باعتبار المكان سيشكل حقاً أصغر متحف في العالم، وسيأتي ذكر الشخصية أو المؤسسة صاحبة المبادرة الفريدة، ما سيؤمن لها دعاية مجانية لا نظير لها. وذلك عدا عن مرتادي المطعم والنزل والزوار، بالمئات يومياً. وسيُذكر ذلك أيضاً على اللوحة التعريفية والكتيبات والكراسات والمنشورات والإعلانات والمقالات كافة عن النزل ومطعمه ومتحفه».

وذكر في هذا الشأن أن مدير المتاحف الفرنسية قال له يوماً إنه يحسده لكون نزل راڤو، منذ إعادة افتتاحه، حظي بـ17 ألف مادة إعلامية، صحافية وتلفزيونية وإذاعية، من العالم أجمع، أي أكثر من «اللوڤر» و«أورساي» مجتمعَين (أول متحفَين في فرنسا). كما أضاف سبباً ثالثاً متمثلاً في الأرباح الآتية من بيع «الاكسسوارات»، مثل نسخة مفتاح الغرفة، التي تهدى إلى الشخصيات البارزة.

أوڤير سور واز».

فـ«قرية الرسامين» هذه، مثلما لقبت، ذات طبيعة خلابة وهواء نقي. وبما أنها رُبطت بباريس عبر خط سكك حديدية منذ بدايات اختراع القطار، أضحت بسرعة مستقرّ عدد من فناني القرن الـ19، مثل سيزان ومانيه ومونيه وپيسارو، وغيرهم العشرات. وفي ربيع 1890، وافاهم هناك هولندي شبه معتوه، إنما عبقري، عرف المصحات العقلية أكثر من معارض الفن، ولم يبع سوى لوحة واحدة في حياته. عاش هناك آخر 70 يوماً من حياته، رسم خلالها 60 لوحة، ورث معظمَها طبيبُه، الدكتور غاشيه Gachet، الذي لايزال منزله قائماً، قريباً من النزل. وهو الذي وجد تلك الغرفة للفنان لأنها كانت الأرخص في المدينة بأسرها: 3 فرنكات لليلة. فهي ضئيلة، في الطابق الأخير من النزل، وتفتقر إلى شباك، لكونها تحت السقف/ الحائط المائل، وليس فيها سوى كوة صغيرة لا تتيح رؤية الشارع. فهل كانت كآبتها وضيقها من أسباب انتحار الفنان؟ الذي أطلق النار على صدره في حقل قريب، في 1890/7/27، ومات بعد يومين عن 37 عاماً؟ لكن فنه لم يمت. ومريدوه، من أمثال جانسنس، يعدون بعشرات الملايين.